فتنة العبور

كمال أخلاقي
شاعر مغربيّ، من مواليد ١٩٧٠.
صدر له: **أكثر من جبل** (جائزة بيت الشعر في المغرب ٢٠٠٣)، **وإشراقات الأبد** (٢٠٠٩). يصدر له قريبًا ديوان بعنوان: **هتاف الغياب**.

كأنّي أعْبرُ إلى سماءٍ بعيدةٍ
يغْسلني غبارٌ فأضيء طريقي.
ممرٌّ صاخبٌ بالخوف كالإغماءة،
فصولٌ تميلُ نائمةً،
وأخرى تجرحُ عُزلَتي بصباحاتها.
أمشي بمحاذاة أشجارٍ وماءٍ
وكُلّما أعلنتُ عطشي جفّتْ آبارٌ في الحلقْ.
أمشي إلى ظلال أشدّ زرقةً
لعلّي أشارفُ إشراقًا به أهتدي.
يدي غماماتٌ تسيلُ،
إشاراتٌ لما قدْ يحدثُ من خرابٍ لن ينتبه إليه أحدٌ سوايْ.
نصيبي فادحٌ من هذا التأمّل الرتيب:
لا ينتهي به ليل،
وليست تمحوه طريق.

بملءِ ما في الروح من تعب،
بكلّ ما تبقّى إذنْ،
سأعْبر إلى حيث أريد،
جاعلًا الحواسَّ على أهبةِ الحريق،
حيث نبيذُ الحنين جارف
كما في تلك الأنهار التي ما عدتُ أذكرُها.
هناك،
في فتنة العبور إلى الوله المضيء،
أعشاشٌ لم تبرحْ دفئها الحياة؛
خيالاتٌ تفيضُ بالطفولة
على مرأى من هذا الضجر المتساقط
في ليلٍ تئنّ فيه أوجاعُ الصمت الزرقاء.

ها قد وصلت
لا شيء يدلّ عليّ!
أخافُ أن أرى أمامي هذا الحارسَ الذي يشبهني
ما الطريقُ إليّ؟

أعرني صورتَكَ كي أتهجّى هذا الموت قليلا
رأفةً بي،
رأفةً بالقادمين إلى هذا الحجّ اللاهب،
رأفةً بالصعاليك ورواة الندم والواقفين
على الأبواب في حضرةِ الأقدار المحبوكةِ بضربات اليأس،
بالحديدِ الطاعن في الجرح يقدّد لحمَ الخرافة،
ويبدّد الدمَ على أدراج الغياب.
أعرّني ما أحضنُ به جذورَ الخلاء،
رفرفةَ الطير الرشيقة،
كي أدوّنَ سيرةَ الفضاء الشاسع.
قليلٌ هذا الذي يبقى
بعد تفسّخ الماء إلى رنين مختوم
بمجاهل الأبد
ولا شيء يدلّ عليّ.